دور مؤسسة زاوية الهامل الرحمانية في تثبيت المرجعية الدينية

ـ خلافة الشيخ محمد المأمون القاسمي أنموذجا ـ

إعداد : د حورية محجوب

كلية العلوم الإسلامية -جامعة الوادي (الجزائر)

mahdjoub-houria@univ-eloued.dz

مقدمة:

لكل أمة أمجادها ونفائسها التي تحرص على الاحتفاظ بها، وعدم الاستهانة بشأنها، بل ترى سلامتها وعافيتها في صونها وتنميتها، وعلتها وسقمها في إتلافها وتبديدها؛ لأنها بمثابة المعالم أو المؤشرات الشاخصة لمسيرتها، ومنهجها ومستواها، وهي الإطار المميز لها عن غيرها من الأمم الأخرى.

والزوايا جزء مهم من هذه الأمجاد والمفاخر؛ المشكلة لتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وزاوية الهامل القاسمية إحدى هذه المؤسسات؛ التي شكلت حاضرة علمية وروحية في تاريخ الجزائر، ومرجعا أساسيا في تثبيت وحدتها وترابطها.

وهي أنموذج واقعي لكثير من المؤسسات الدينية الجزائرية، التي عملت جاهدة في سبيل الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري؛ من خلال تثبيت مرجعيته الدينية، وغرس القيم النبيلة، ومحاربة التطرف والغلو،

تتداخل في ذلك كل الأبعاد الروحية والدينية، والعلمية والثقافية والاجتماعية، آثرت بفضل مواقفها رسم مسار مرجعية شعب عانى من ويلات الاستعمار؛ من طمس للهوية وتخريب، وتنصير وتدمير، وشكلت بفضل منظومتها مرجعا أساسيا للهوية الوطنية، وهمزة وصل بين الحاضر والماضي، كما تعتبر حاجزا منيعا أمام التحديات المعاصرة للهوية والمرجعية الوطنية، من خلال مواقف مشيختها الرشيدة التي عمقت الفارق والهوة؛ بفضل قراراتها ومواقفها المشرفة من التأسيس إلى يومنا هذا.

فهي من المعالم الدّينية والصروح العلمية التي تزخر بها بلادنا، التي أنشأت في القرن التاسع عشر، وأدت دورا هاما وأساسيا في المحافظة على أصالة، وقيم الشعب الجزائري، وترسيخ مرجعيته الدّينية والروحية، ولعل فترة الشيخ محمد المأمون القاسمي كانت أهم خلافة مرت بالزاوية، حيث شهدت خلافته قفزة نوعية في ذلك وقدم راسخة في تثبيت مقومات هذا الوطن؛ الذي قدّم الغالي والنفيس من أجل أن ينعم هذا الوطن بالحرية والأمان.

ومن هذا المنطلق فإنّنا من خلال هذه الورقة البحثية نسعى أولا للتعرف على مؤسسة الهامل القاسمية ومشيختها، والدور الذي قامت به في تثبيت المرجعية في الجزائر، وما هي السبل والاستراتيجيات في ذلك؟ وإعطاء نماذج عن المشاريع أو الجهود المبذولة في ترسيخ المرجعية، ومحاربة الأفكار الهدامة الدخيلة عن المجتمع الجزائري مرورا بالتعريف بأهم مصطلحات البحث (الزّاوية، المرجعية).

أولا: ضبط مصطلحات البحث (الزاوية، المرجعية)

1) تعريف الزاوية:

أ. لغة: زَوِيَ الشّيءَ أي نحّاه وانزوى القومُ بعضهم إلى بعض أي: تدانوا وتضامنوا.[1]

والزاوية من الانزواء، والانعزال والانطواء، والبعد عن الحياة العامة والأسواق[2] وهذا ما يدل على وجود أغلب الزوايا في القرى، والأرياف والأماكن البعيدة عن الضوضاء والعزلة.

من خلال التعريفات اللغوية لمصطلح الزاوية؛ والذي يحيلنا مرة إلى التّمكن، والتضامن، والركن، وأساس البناء. ومرة أخرى للبعد والانعزال، والانطواء، والقبض، وهي مفردات ذات دلالات متقاربة أحيانا ومتفاوتة أحيانا أخرى.

فحضور الدلالة اللغوية لا يمكن ضبط معناها إلاّ من خلال تتبع وظائف الزاوية، ودورها ومساهمتها في العمل الدعوي ومأسسته، وهل يمكن اعتبار الزاوية الركن الأساسي في بناء المؤسسات الدعوية؟ أم أنها ما تزال تمثل نفس الدور القديم المتجدد، والتي تعبر عنه معاني الابتعاد، والانعزال، والاعتكاف في ظل المدنيّة الحديثة؟

فلا يمكن الجزم إلاّ من خلال ضبط مفهوم الزاوية اصطلاحا؛ ليتسنى لنا معرفة المعنى الحقيقي للزاوية ودورها الدعوي.

ب. اصطلاحا: يطلق لفظ الزاوية على البناء؛ الذي يقوم بتأسيسه شخص ذو شأن روحي، ومشهور بالتقوى والصلاح والعبادة، يتولى مهمة الوعظ، والإرشاد لمن يتردد عليه من أتباع ومريدين.[3] إلاّ أن أبا القاسم سعد الله

---

1 ـ ابن منظور، لسان العرب، حرف الزاي، دار الجيل، ط1988، ج:14، ص:364.

2 ـ ابن منظور، المصدر نفسه، حرف الزاي، ج:14، ص:363.

3 ـ التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، منشورات كلية الآداب، جامعة تونس 1، ط:1، 1992م، ص: 34.

ذهب إلى أبعد من هذا بقوله: "الزوايا عبارة عن مؤسسات دينية، ومراكز ثقافية، ونواة اجتماعية، وخلايا سياسية، يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم، وشريعتهم، وفيها يتلقون مختلف العلوم والمعارف، ويقيمون العلاقات الاجتماعية المختلفة[1]، وهو ما أكّده الشّيخ عبد القادر عثماني شيخ زاوية طولقة بقوله: "إنّ لفظة زاوية تعني عبارة عن مسجد أو مدرسة، أو معهد للتّعليم القرآني، ومأوى للطّلبة الداخليّين يعيشون في تلك الزّاوية بلا مقابل.[2]

فالزوايا كانت قائمة على شكل مؤسسات دينية، واجتماعية مبنية على العرف والدين، ويتميز مؤسسوها بالشرفاء[3]، أو المشيخة المكتسبة من درجة العلم والجهاد والتعبد.[4]

لقد عرفت الجزائر عدة زوايا عبر ربوع الوطن، إذ كانت تعرف بالرباط أهمها: رباط مروان البوني بعنابة[5]، ولعل أقدم زاوية هي زاوية أبي زكريا الزواوي نواحي بجاية[6]، وهذان المثلان لا يمنعان من الانتشار الواسع للزوايا في مختلف ربوع الوطن.

من خلال ما سبق يتبين لنا: أن الزاوية بعد التأسيس تأخذ اسم شيخها، ولها طريقة تنتمي إليها، ونلاحظ أن معظم التعريفات للزاوية ترتكز على الوظائف والأدوار التي تنسب لها.

2) المرجعية:

أ. لغة: المرجعية هي اسم مفرد مؤنث منسوب إلى المرجع، والمرجعية الدينية بمعنى سلطة أو جهة أو شخص ترجع إليه طائفة دينية معينة فيما يخصها، أو يشكل عليها من أمرها، ويقال للكتاب مرجع؛ لأنّه يرجع إليه في تأصيل مسائل العلم. ولم يرد لفظ مرجعية في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة، وإنّما ورد لفظ مرجع في حوالي 11 موضعا من القرآن الكريم.

ب. اصطلاحا: حسب التتبع التاريخي للفظة المرجعية لم نعثر لها على أثر في استعمال المتقدمين وإنّما التصق هذا المصطلح مع كتب المعاصرين من الشيعة الإمامية خاصة؛ إذ يقصد به الأئمة المجتهدين المعصومين، الجامعين لشروط الشرعية في كتبهم.[7] أما أهل السنة والجماعة فيراد بها معنيين أحدهما فكري يتمثل في الاختيارات الفقهية، العقدية، والسلوكية لمجموعة من الأشخاص داخل بلد معين، وهو ما يعرف بمرجعية الفكرة. وآخر يتعلق بالأشخاص؛ أي الفقهاء والعلماء الذين يرجع إليهم في معرفة وفهم أحكام الشرع، وفق المذهب المختار أو ما يعرف بمرجعية الأفراد، وبالتالي فالمرجعية الدّينية هي: "الأصول الشرعية المختارة في فهم الدين وتطبيقه، والهيئات العلمية المخبرة بأحكامها"[8].

---

1 ـ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط:1، بيروت، لبنان، 1998، ج:3، ص:174.

2 ـ لقاء شخصي مع الشيخ عبد القادر عثماني، يوم 2017/11/08م على الساعة: 11:05 بمقر الزاوية بمدينة طولقة، بسكرة.

3 ـ نسبة إلى النسب الشريف المنحدر من سلالة الرسول ﷺ.

4 ـ أحمد بن أحمد، الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسات الشعبية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تلمسان، العدد:2، 2003م، ص:31.

5 ـ يحي بوعزيز، دور الطرق الصوفية في الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، ملتقى الفكر الإسلامي، تيارت، 1983، ص:4.

6ـ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط:1980، ج:3، ص:426.

7 ـ أبو ريان محمد، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، 2000، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص:116. (مسألة الخلاف بين أهل السنة والشيعة الإمامية اثنا عشر هو **الإمامة** التي تتمسك بضرورة قيام امام معصوم يتولى أمور الدين والدنيا وله الحق في تفسير القران بما أتاه الله من نور النبوة).

8 ـ دريس بن مصطفى، المرجعية الدينية في الجزائر الأسس والمرتكزات، مجلة متون، مج:14، ع:1، 2021/02/26، ص:2.

وكما هو معلوم فالمرجعية الدّينية لها شقان أحدهما علمي، وآخر مؤسساتي يكملان بعضهما البعض، ولا يمكن الحفاظ على هذه المرجعية إلاّ بتفعيلهما معا؛ يتمثل الشق العلمي لمرجعية الفكرة والأفراد التي بواسطتها يمكن الفصل في قضايا الأمة. أما الجانب المؤسساتي؛ فيتم في المؤسسة الإدارية الشرعية التي توفر الدعم المادي والمعنوي للكفاءات العلمية المؤهلة بصفة رسمية وتحت وصاية وحماية السلطة حتى تتمكن من أداء مهامها، وتكون لها وسائلها الإعلامية الخاصة بها التي تمكنها من بث أفكارها وإيصال صوتها لجماهيرها.

وللإشارة فإنّ المرجعية في الجزائر هي المقصود بها الإطار الديني والقانوني؛ الذي يسمح بممارسة الشعائر الدينية في كامل مؤسسات البلاد، ويقوم على ثلاثة ركائز: العقيدة، الفقه، السلوك، تسعى من خلال منظومتها ومؤسساتها ودستورها على تثبيتها والدفاع عنها.

ولتنجح هذه المرجعية وتلقى قبولا في القيام بدورها لابد من توحيد الفتوى وضبطها وفق مذهب فقهي معين قصد سد الباب أمام مروجي الفتاوى الشاذة، ودرء الفتن بين الشباب في أمور دينهم.

وبعد أن تم التعريف بأهم المصطلحات الهامة في عنوان البحث، نتطرق بعدها إلى التعريف بمؤسسة زاوية الهامل القاسمية ومشيختها الحالية، لنتمكن من خلالها للحديث عن دورها في ترسيخ المرجعية والدفاع عنها.

ثانيا: التعريف بمؤسسة زاوية الهامل القاسمية.

1) التعريف بشخصية المؤسس:

المولد والنشأة: هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم، بن ربيع بن محمد، بن عبد الرحيم بن سائب، بن منصور بن عبد الرحيم، بن أيوب بن عبد الرحيم، بن أبي زيد بن علي، بن مهدي من صفوان، بن موسى بن عيسى، بن محمد بن عيسى، بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، بن فاطمة بنت رسول الله[1]،فهو بذلك ينتمي إلى العترة الطاهرة.

ولد الشيخ محمد أبو القاسم الهاملي في محرم 1240هالموافق 26 جويلية 1824م[2]في بادية الحمادية بولاية الجلفة من عائلة محافظة، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وصقلت شخصيته باللغة والفصاحة، والفروسية.

ارتحل إلى بلاد القبائل عازما على جمع العلوم والمعارف، فتنقل بين زواياها، إلى أن استقر بزاوية ابن أبي داوود بزواوة، فأخ عن شيخها أحمد بن أبي داوود العلوم والمعارف، فشهد له بالنبوغ والذكاء، والتميز بين أقرانه فلما جمع العلوم والقراءات عاد إلى بلدته الطيبة، لينشر العلم فيها، لكن سرعان ما تاقت نفسه إلى الحضرة الإلهية، فسافر مرة أخرى إلى أولاد جلال للقاء شيخه المختار الذي أخذ عنه الطريق الصوفي، فعاد بعد أن جمع العلوم الدينية واللّدنية لقرية الهامل، ويؤسس زاويته بعد أن صدقت الرؤية[3].

1 ـ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، ط:1، 1965، الجزائر، ج:1، ص:56.

2 ـ محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المكتبة العتيقة، مؤسسة الرسالة، 1985م، ج:2، ص 348.

3 ـ ينظر: محمد بن محمد القاسمي، الزهر الباسم في ترجمة الامام محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية التونسية، ط:1،ص 55.

2) التعريف بمؤسسة زاوية الهامل:

تعد زاوية الهامل القاسمية إحدى فروع الرحمانية في بوسعادة عن زاوية محمد بن عزوز البرجي، تقع في الجهة الغربية لقرية الهامل[1]،بمدينة بوسعادة ولاية المسيلة، في سفح جبل عمران، وهو المكان الذي سبق وأن حددته العناية الإلهية، وتجلى ذلك في رؤية للشيخ المؤسس محمد بن أبي القاسم الهاملي، حيث جاء في إحدى رسائله إلى الشيخ المختار: "اعلم سيدي أن في بلدنا أعني قرية الهامل مكاناً كلما رأيته رأيت فيه بنيانا عظيما، به أذكار وتلاوة وفقه، ونحو وتفسير، وحديث، وسائر أنواع الطاعة من صلاة وصوم، وقيام وغير ذلك من ضرب الدفوف، وكثرة الآكل والمشارب، رأيت هذا يقظة مرارا عديدة[2].

وفي سنة 1862 شرع الشيخ أبو القاسم في إنجاز هذا الصرح العلمي، والمعلم الحضاري بفضل بركة الرؤيا وعمل وإخلاص الشيخ، وصدق النية في البناء والعمل، تم إنجازه في ظرف وجيز جدا، إذ تمت أشغال البناء بعد سنة واحدة فقط من انطلاقها[3].

للإشارة فإنّها الزاوية الوحيدة الموجودة بالمنطقة آنذاك، وفي سنة 1884م، شرع في بناء مسجد للطلبة والإخوان، وتدريس الفقه وغيره، فجاء مسجدا عظيما في الإشعاع والطراز، كما عمل مساكن للطلبة والإخوان خارجة عن منازله الخصوصية، فكانت نحو المائة مسكن[4].

شرع الشيخ في تدريس بزاويته الجديدة بنفسه، وكان لا يتركا لدروس في علوم عديدة منها: الفقه، الحديث التفسير، النحو، علم الكلام...الخ، وقد ختم عددا كبيرا من كتب الحديث مثل الموطأ، والصحيحين، والجامع الصغير، وشروح شمائل الترمذي، وشرح الأربعين النووية، حيث روي عنه أنه يسرد نحو ثلاثة كراسات بلا تعب ولا ملل[5].

ذاعت شهرته في المناطق المجاورة فقصده الطلبة من كل مكان من: المدية، تيارت، شرشال، سطيف، المسيلة الجلفة.

هذا ما جعله يربط علاقات جيدة مع علماء عصرة – مصطفى بنعزوز، المبروك بنعزوز، علي بن عثمان الطولقي، إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي، محمد بن الموسوم -المقراني- وبوعزيز بن الأحرش – كما كانت له علاقات ممتازة مع كبرى الزوايا في القطر الجزائري؛ مثل أولاد جلال – زاوية السعيد بن أبي داود، قصر البوخاري طولقة...[6]

---

1 ـ الهامل: قرية تقع بالقرب من مدينة بوسعادة حوالي 12 كم جنوب شرق بوسعادة، وحوالي 70 كلم عن المسيلة .. يحدها من الجنوب والشمال : أولاد عامر القبالة ومن الشرق بوسعادة ومن الجنوب الشرقي المراقصة من الجنوب، جبل مساعد. (الحاج مزاري، الهامل مركز اشعاع وقلعة العلم والجهاد، دار الحكمة، الجزائر، ط:1، 1993، ص:7).

2 ـ محمد الصغير ، تعطير الأكوان، د.ط،. دار الخليل، ص:84.

3 ـ محمد الحاج محمد، الزهر الباسم في ترجمة الامام محمد بن أبي القاسم، المرجع نفسه، ص 55.

4. محمد الحاج محمد، المرجع السابق، ص:55.

5 .محمد الحاج محمد الزهر الباسم . المرجع السابق، ص: 57.

6 ـ عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل، ط:1،2005 ، ص:126/125.

هذه العلاقات الروحية الممتازة، دلت عليها المراسلات الكثيرة الموجودة في مكتبة الزاوية القاسمية سواء مع الأسر العلمية، أو المشايخ والعلماء، أو القيادات العسكرية .

3) سلسلة مشايخ مؤسسة زاوية الهامل:

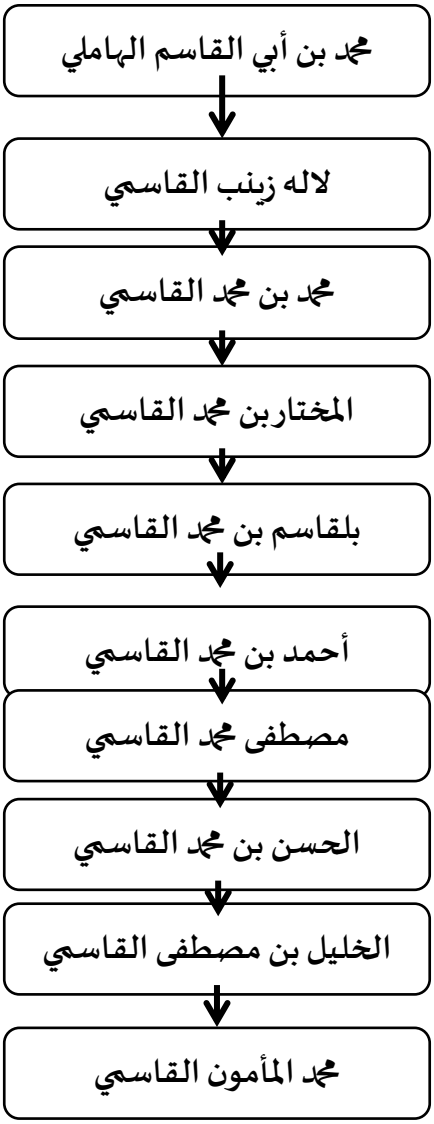

4) مؤسسة زاوية الهامل في نظر العلماء:

أشاد الباحثون بمكانة زاوية الهامل، وبأدوارها التاريخية، فصاحب كتاب "تعريف الخلف برجال السلف" يقول: "إن زاوية العامل لا تطأ أطأ رأسها للزيتونة ولا للقرويين"[1]، فيحين نجد أنا الأستاذ نسيب يصف دورها بالعظيم في المحافظة على مقومات أمتنا الأساسية، وترسيخ العقيدة والقيم الروحية، ونشر اللغة العربية، والثقافة الاسلامية، وبث الروح الوطنية، كما كانت مساهمتها كبيرة في النهضة الدينية والعلمية في بلادنا"[2] فهي صرح دعوي إسلامي صادح للحق منذ فكرة التأسيس، أما الأستاذ والباحث أحمد توفيق المدن

1 ـ محمد الحفناوي، المصدر السابق، ج :2، ص:34.

2 ـ محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ط، ص: 159.

يفيتحدثعنزاوية الهاملودورهافيوجزالكلامبقوله:

"وعلىبعدكلم15منبوسعادةنجدالمعهدالإسلاميالأكبرمعهدالمعنسسيدىمحمدبنأبي القاسمالهاملىرضياللهعنه،ولقدأقيمتهناكفيوسطالفقار،زاويةبديّةالصّنعحولهاالدوروم ساكنالطلبة،ويجاورهازمن الشتاءوالربيعنحوالمائتينطالب،يتلقونهناكعلومالعربية،وفقه مالك،ويحفظونالقرآن،والزاويةتقوملهمبكلشؤونالحياةإلىأنيتمواتعلمهم،وقدتخرجمنهذاالمعهدرجاللهمالسبقفيم ضمارالعلوم الإسلامية،فهيمعقلالعروبةوالإسلام"[1].

لقدتأسست زاوية الهاملالقاسميةلعدةغايات وأهدافدعوية، أولها:

تعليمالقرآنواللغةالعربيةوالدينالإسلامي،وبثالعقيدةالإسلاميةوسطالناس،فرسالتهاواضحةوسليمة،ومنبينأه مالأسسالتيحافظتعليهاهي:تثبيتالمرجعيةالدينيةوالدفاععنها،ومحاربةالتطرف والأفكارالهدامة،وذلكبفضلمشروعمتكاملمتناغم،فهيلمتكنبمثابةامتدادصوفيفقطبلهيإعادةإحياءللأمة،وتجديد لطاقتها،وبثروحجديدةفيها؛بفضلأدوارهاالتعليميةوالدعويةومواقفمشيختهاالرشيدةفيإعطاءدفعةقويةللمؤسسا تالدينيةفيالجزائر،ومنهناندركحجمالدورالذيلعبتهفيخدمةالمرجعيةالدينيةوالتعليم،والمحافظةعلىثوابتالأمة،وهذ امانبيّنهفيالآتي.

5) التعريف بالمشيخة الحالية "الشيخ محمد المأمون القاسمي":

أ. حياته:

ولدفيقريةالهاملبوسعادةبولايةالمسيلةبتاريخ:25 فيفري 1944م، من عائلةمحافظة؛فوالده هومصطفى بن محمد القاسمي، حفظالقرآنالكريمفيرحابالزاويةالقاسمية،كماأخذالعلمبأسانيدهعلىكبارالمشايخ آنذاك،ومنهؤلاءنذكر:

- محمدعبدالعزيزالفاطمي.
- محمدقريشيالتاجروني.
- الخليلمصطفى.
- أحمدبنعزوز.

فيحينأجازه كل من:

- والدهمصطفىبنمحمد.
- الشيخالخليلبنمصطفى.
- الشيخطاهرالعبيدي.
- الشيخمحمدعلويالمالكيفيمكةالمكرمة.
- تحصلعلىشهادةالدكتوراهمنجامعةالجزائربدرجة مشرف جدا.

1 ـ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1977، ص 93

عرف عنه ملازمته لوالده في رحلاته العلمية ولزام صحبته حتى وفاته 1970م.

ب. أهم أعماله و إنجازاته:

تولىمهمةالتعليم؛فتولىمهمة التدريسفيالمعهدالقاسميوالإشرافعلىالتنظيمالتربويفيه،كماكان لهنشاطعلميزاخرفيوزارةالتعليموالشؤونالدينية . تولىمن خلالها عدة مهام أهمها:

- مديرا مساعدا للبرامج والامتحانات بوزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.
- مستشاراقائمابتنظيمالحجومديراللحجوشعائره.
- أميناعاماللجمعيةالجزائريةلاتحادالمغربالعربي.
- مستشاراشرعيالبنكالبركةالجزائرية.
- كماتولىمشيخةزاويةالهاملالقاسميةورئيسالمعهد القاسميللدراساتوالعلومالإسلامية.
- رئيسا للرابطةالرحمانيةللزواياالعالمية.
- عضوا فيالمجلسالإسلاميالأعلى.
- رئيسالهيئةالرقابةالشرعيةلبنكالبركةالجزائري.
- عضوامؤسسالمؤتمر علماءالمسلمينفيجاكرتا (2004م).
- حاليا: يتقلد رتبة عميد المسجد الأعظم بالجزائر العاصمة، برتبة وزير، والخليفة الحالي لزاوية الهامل القاسمية.

لقدكانمحمدالمأمونالقاسميالحسنيأحدمهندسيملتقياتالفكرالإسلامي،كماكانلهنشاطادعويا،وتواصلا،ولقاءاتوندوات،جمعتهبجلعلماءومفكريالعالمالإسلاميبكلمذاهبهمومشاربهمالدينيةالمختلفة،كمازاردولالعالمالإسلاميمحاضراومشاركافيملتقياتوندواتعالميةفيإطارالدعوةلله[1]،كانتكلمتهموحدةوجامعة، يعد شخصية عالمية توافقية من خلال مواقفه الراسخة وخطاباته الجامعة، ومرجعيته الدينية الوسطية المعتدلة.

ثالثا: استراتيجيات مؤسسة زاوية الهامل القاسمية في تثبيت المرجعية الدينية:

إنالجزائرروحهاالإسلام، به اهتدت، وبهجاهدتوانتصرت،وبهإنشاءاللهتقيمحياتهاوتضمنوحدتهاوتماسكها،فالإسلامهوالضامنلوحدةشعبناووطنامنشمالهإلى جنوبه،ومنشرقهإلى غربه،لذاعلينا أننشيدبقيمالإسلاموبمرجعيتناالدينية،التيتعدحصنا منيعاأمامالتياراتالجارفة،فلايكفيأنينصالقانونفيالمادةالأولىعلىأنّدينالدولة:الإسلام،بلينبغيأنتضافإليهفقرةالتزامالدولةبمراعاةالانسجاممعدستوريةالإسلام؛باعتبارهدينالدولةفيكلالتشريعاتالتيتنظمحياةالأسرةوالمجتمعالجزائري،وترسيخمرجعيتهالدينية،وتضعحدّالتناقضوتضاربالأفكاروالفهوموالمرجعياتالدينية،وكذاالأفكارالهدامة،وعلىالدولةأنتشرع بإلزامية ذلك في كل مؤسساتها. هذا ما طالب بهالشيخالمأمونالقاسميمنخلالنظرتهللدستورالجديد 2019م، وقد رسخ ذلك في مؤسسة الزاوية القاسمية من خلال منظومتها التعليمية والدينية.

1 ـ لقاء مع الشيخ المأمون، زاوية الهامل، يوم:2021/10/18، على الساعة:11:30.

1) استراتيجية التعليم في إثبات المرجعية:

يعد الدور التعليمي أهم الأدوار الذي منشأنه ترسيخ مواد المرجعية الدينية، والمحافظة على أصالة الشعب وانتمائها الديني وتعزيز هويته، وذلك وفقا أهم الركائز والدعائم التعليمية؛ التي تتبناها المؤسسات التعليمية ضمن منظومتها سواء كانت زوايا أو معاهد أو جامعات،

وزاوية الهامل القاسمية أنموذجا جحفيذلك، إذ تبنت منذ تأسيسها منظومة تعليمية أصيلة تعبر عن هويتها وانتمائها الإسلامي، وتحافظ على مرجعيتها، فالتعليم في الزوايا هو ردة فعل ثقافية أملتها الظروف في فترة استعمارية حاسمة وحساسة حيث أحست بالخطر الذي يحدق بهويتها، ومرجعتها، وتاريخها، وانتمائها الروحي والثقافي، ومكوناتشخصيتها؛ لذلك فهي تسعى للحفاظ على الموجود من الموروث الديني والثقافي من الضياع والاختلاط والانصهار في الموروث الغربي الفرنسي، ولو بأبسط الوسائل، وبقي التركيز على الجانب العلمي إلى

اليوم متصلا ومتواصلا مع المشيخة الحالية؛ حيث اعتمدت في منظومتها التعليمية على مواد المرجعية الدينية في الجزائر المتمثلة في قول ابن عاشر في مرشدها المعين[1]:

فيعَقْدِ الأشـــــــــــعرِي وفقهِ مالكْ وفي طريقةِ الجُنَيْدْ السـالكْ

أ. مرجعية اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن:

اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، فضلا عن كونها من أقوى ما لوحدتنا، ومقوما تشخصيتنا، إنّ صلة اللغة العربية وثيقة بالعقيدة الإسلامية، لأنّها لغة القرآن؛ حيث تلقى المسلمون كتابهم بلغة عربية بيئة؛ وشرفهما لله باختيار هذه اللغة، لتكون وعاء لكتابه، وتتحمل وحيه وهدايته للناس أجمعين، لقد طبعها الله بلغة دقيقة؛ وبنسق يباطنها الاقتدار على إبلاغ دعوة القرآن وبيانا آياته بوضوح لا يشوبه غموض أسلوبها بين مبين، يكشف الغوامض ويوضح الحقائق. وقد شهد بذلك رب العزة والجلال. قال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ } النحل 103. وقال سبحانه: { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين} الشعراء 193. وقال تعالى : {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .. } يوسف 2.

لقد أدرك المسلمون هذه الحقيقة، واقتنعوا أنواجههم نشر الإسلام، ونشر اللغة العربية، كأشرف وسيلة تحقق نشر دعوة الإسلام. ومن هذا المنطلق؛ فإنّ التهاون في أمر اللغة العربية يعد تهاونا في حق العقيدة الإسلامية؛ لأن العربية تمثل رسالة الإسلام عقيدة وشريعة، ونظام حياة.

أكد الشيخ محمد المأمون القاسمي من خلال ملاحظاته حول تعديل الدستور 2019 على ضرورة تعميم استعمال اللغة العربية في كافة مؤسسات الدولة، ولا يكفي أن ينص عليها القانون في المادة الثالثة التي تنص

1 ـ عبد الواحد بن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص:3.

على: " أناللغةالعربيةهياللغةالرسميةوالوطنيةللدولةالجزائرية "، بل ينبغيأنتضافإلىهذهالمادةفقرةتنصعلىالتزاممؤسساتالدولةبالتعاملباللغةالعربية،والعملللترقيةتعليمها،وتعميماس تعمالهافيالإدارةوالتعليم،والإعلاموالمحيط.

وذلكنظرالأنّهامنأقوىعواملوحدتنا،ومقومأساسيمنمقوماتشخصيتنا،وباعتبارهااللغةالجامعةلأبناءشعبنا؛توح دفكرهموخطابهمعلىاختلافلهجاتهم،وتنوعثقافاتهم،وتباعدديارهم،فضلاعنكونهاللغةالقرآن،ومفتاحمعرفتهواستذ باطأحكامه،والوقوفعلىإعجازهوأسراره.

والحالأنكلعاقليعلمعلماليقينأنحياةاللغةفياستعمالها،والالتزامبالعملبهافيكلالمؤسساتوالتعاملبهافيشتىشؤونا لحياة، حفاظاعلىانسجامالمجتمعالجزائري في إطار الوحدة الوطنية والمرجعية الدينية الجامعة[1].

إضافة إلى موقفه هذا من مرجعية اللغة العربية، فقد عزّز تدريسها في الزاوية وفق برنامج مكثف يومي يتماشى مع قدرة الطلبة على الاستيعاب، حيث اقترحت المشيخة مجموعة من الكتب العمدة في اللغة من أجل تكوين راق، أهمها:

- أشعار العرب الجاهليين.
- المعلقات السبع.

حيث بدأوا بالدراسة المعجمية (المعاجم المنظومة)مثل:

- مثلث قطرب.
- مثلث ابن مالك.
- المقصور والممدود لابن مالك.

والمتون النثرية مثل:

- مقامات الحريري.
- لامية العرب.
- ألفية وحاشية التفتازاني.
- قطر الندى في قواعد اللغة[2].

ب. **العقيدة الأشعرية:**تعتمد الجزائر على العقيدة الأشعرية المتمثلةفيعقيدة أهلالسنةوالجماعة التي سلك منهجها عددكبيرمنالفقهاء والعلماءفدعمتاتجاههمالعقدي،وسعتلتطبيقهافيالمؤسساتالتعليمية،ومؤسسةزاويةالهاملفيتنشئة الناشئةعلىالتربيةالإسلاميةالصحيحةوالعقيدةالنقيةوذلكبالاعتمادعلىمؤلفاتتتضمنأصولالتوحيدالإسلامي،فالم رجعيةالعقديةفيالزاوية القاسمية هي ما تضمنه قول ابن عاشر.

ومنبين الكتب التي تدرس بالزاوية نذكر:

---

1 ـ محمد المأمون القاسمي، تعديلات الدستور 2019م ـ اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، فضلا ع كونها من عوامل وحدتنا ومقومات شخصيتنا ـ، ص:5/4.

2 ـ محمد المأمون القاسمي، التعليم في زاوية الهاملالقاسمية، ملتقى أعلام المسيلة، 2017م، ص:3.

- عقيدة الإمام الأشعري:

حيث قام المشيخة الحالية بترسيخ هذه العقيدة بين طلبتها وحافظت على الاستمرارية، والتواصل، التوازن.

- ومنجهة أخرى أعطت عناية بعقائد السنوسيمنها: العقيدة الكبرى، والعقيدة الوسطى والعقيدة الصغرى، وهي المعروفة بأم البراهين، فهي مرآة تعكس مستوى التطور العقدي الذي عرفه المغرب الإسلامي إضافة إلى جملة من الكتب العقدية الأشعرية، التي كانت مبرمجة للطلبة في حلقات التدريس منها:

- جوهرة التوحيد للقاني، بشرح عبد السلام اللقاني.
- العقائد النسفية بشرح السعد التفتازاني.
- الدرة الخريدة للشيخ الدردير.
- المواقف للشيخ عبد الرحمن العضد بشرح الجرجاني.

- طوالع الأنوار للبيضاوي بشرح الأصبهاني[1].

كما خصصت برنامجا أسبوعيا يتوافق ومنظومتها التعليمية يتدارس فيه كتب العقيدة ومسائلها مع الشرح والبيان وفق المذهب الأشعري.

ج. الفقه المالكي:

إناهتماما لزاوية القاسمية بالفقه كانت بوادره معنشاط المؤسس حيث خصص فصلا لشتاء وجزء منفصلا لربيع لتدريس مختصر خليل، الذي يحتل أهمية كبر في التعليم الديني بالزاوية، ففي البداية يقرأ الطلاب شرح الإمام علمتنا الحبل المتين، ثم يتدرجون في طلب العلم؛ فيدرسون رسالة الإمام ابن أبي زيد القيرواني، والشرح المعتمد هو: كفاية الطالب الرباني لأبيال خير، ليصل الطالب في السنة الأخيرة لمختصر خليل بنإسحاق المالكي بشروحها العديدة. ولعناية المشيخة بالفقه المالكي أقامت احتفالا خاصا لقراءة مختصر خليل يكون نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الصيف، ويكون ختامه بالإجازة للقضاة والمفتين والأئمة[2].

ومن بين الكتب الفقهية المالكية التي درست بالزاوية نذكر:

- رسالة ابن أبي زيد القيرواني.
- أقرب المسالك للدردير.
- مختصر خليل بشرح الدردير.
- حاشية الصاوي على شرح الدردير أقرب المسالك.
- حاشية الدسوقي.
- شرح الخرشي.
- شرح الزرقاني على الموطأ.

---

1 ـ محمد القاسمي، رسالة حول التعليم، مخطوط خاص.

2 ـ محمد المأمون القاسمي، التعليم في زاوية الهامل القاسمية، ملتقى أعلام المسيلة 2017 . ص:3.

- شرح الحطاب على الموطأ.

وحسبالإحصائياتالخاصةبالمخطوطاتفيالمكتبةالقاسميةنجدأنالفقهيحتلأكبرنسبةبنسبة 62,36 % منمخزون المخطوطات الموجودة، حيثوصلالعددحوالي294مخطوط، أغلبها بنسبة73 % فقههمالكوشروحاته[1].

د. التصوف(السلوك):

لقد اهتمت المشيخةالرحمانية برئاسة المأمون القاسمي بالتصوفوتدريسه وإعطاء الورد،وهذا ما يعزز الانتماء الروحي للزاوية المتمثل في الطريقة الرحمانية الخلوتية،التيتعود إلى مؤسسها محمد بن عبد الرحمن الأزهري الكوثري، حيث يتم تدريس المنظومة الرحمانية بشرحها لعبد الرحمن بن أحمد باش تارزي وهي أصل الطريقة الرحمانية، إضافة إلى الحكم العطائية،وإحياء علوم الدين للغزالي، كتاب الإبريز لسيدي عبدالعزيز، الأنوار القدسية للشعراني، بستان العارفين للسمرقندي، تحفة الإخوان للدردير، قوت القلوب لأبي طالب المكي، قوت قولي للأزهري ...[2]

لقد عملت المشيخة الراشدةلزاوية الهامل القاسمية على الحفاظ على المرجعية الدينية من خلال التصوفالسني،والسعيلبناءزواياارحمانيةتابعةلزاوية الهامل في ربوع الوطن، مثل: الزاوية الصنهاجية الرحمانية بسكيكدة، الزاوية الرحمانية بعين الحجر وغيرها.

كما سطرت مشيخة الهامل القاسمية عدةأهدافعامةللزاويةمنأجلخدمةالتصوفالسنيومحاربة الخرافاتوالبدع،والطرقالضالة،والمحافظةعلىهويةومرجعيةالأمةالجزائرية،نتوسمذلكفي:

مواصلةنشرالطريقةالرمانيةوبيانحقيقهافيالمجتمعالجزائريمنخلالإقامةحلقاتالذكروتنصحالمريدينوالأتباعبا لالتزامبأورادها،كماساهمتفيتأسيسالكثيرمنالزواياالأخربخصوصافي منطقة الهضاب،وتجديدالعلاقاتمعمختلفالزواياالرحمانيةفيربوعالوطنوخارجه.

كانتبمثابةمركزإشعاعالتصوفالإسلاميالمبنيعلىقواعدالشرعالحنيفالمؤسسعلى السنةالنبويةالطاهرة،الداعيإلى التعاونوالترابطوالمحبة،ومحاربةالبدعوالخرافات،يصفهامحمدالصغيرالجلالي: "مقاميقصدللتسليكوالتطهير،والاستبصاروالتنوير"[3].

لقد ركزتالزاوية القاسمية علىترسيخالمرجعية الدينيةللجزائرالمتمثلةفيالعقيدةالأشعريةوفقههمالكوطريقة الجنيدالسالك من خلال اهتمامهابالمكتبة القاسمية التيتحتويعلىمكنوزاتالمخطوطاتحيثتشملحوالي800 مخطوطأو عنوان، حيثتحتلمخطوطاتالفقهأكبر نسبة؛إذتضمحوالي 294 مخطوطبنسبة 52,36 % وكتبالعقيدةالأشعريةإذيصلحوالي 250 مخطوطومخطوطاتالتصوفيصلعددهاعلىمايزيد90مخطوط،وقدتمفهرستهافيخلافة الشيخالمأمونالقاسميمنطر

1 ـ فؤاد القاسمي، فهرس مخطوطات الزاوية القاسمية، دار الخليل، ط:1، 2014، ص:15.

2 ـ التعليم في زاوية العامل، المرجع السابق، ص:5/4.

3 ـ محمد صغير، المرجع السابق، ص:75.

فالأستاذ فؤاد القاسمي[1].

2) الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني بما يتوافق مع المرجعية:

دعا الشيخ المأمون القاسمي في العديد من خطاباته إلى تجديد الخطاب الديني ما يتوافق مع خطاب الوسطية والاعتدال الذي يخدم المرجعية الدينية الجزائرية بعيدا عن التطرف والغلو، فكانت منابر الزاوية القاسمية السباقة تلك التبني الخطاب الديني المعتدل، حيث تجسد ذلك في خطب الجمعة والدروس الملتقيات، الندوات الفكرية التي تركز فيها المشيخة دوما على المرجعية، وثوابت الأمة سواء العقيدة، الفقه السلوك، وقد كانت مواقفها الصارمة جدارا منيعا أمام كل تحديات والأفكار الهدامة التي تواجه الشباب في أموردينهم، وهوما وقفنا عليه في جائحة كورونا، أين دعا الضرورة توحيد الفتوى وإقرار مجلس فتوى يختص بشؤون الشباب[2].

كما دعا إلى الوفاق بين الإخوة الإباضية والمالكية في غرداية خلال الأحداث ديسمبر 2013م، حيث كاد تنار الفتنة أن تفرق بين الأخوة وتذكي نار الصراع بينهم، وأكد على المرجعية الدينية، وأن سلطة القرارة سكانها إخوة، ويجب العمل على ترميم العلاقات بينهم، وتجديد الخطاب الديني الذي يتوافق وخصوصية المنطقة وانتمائها، وتجنب دخول أطراف أخرى.

لتتوج اللقاءات والزيارات بإيجاد إطار كفيل بضمان التعايش بين المالكية والإباضية، والتعاون فيما بينهم مع حسن الجوار، وتحقيقا لهذا المسعى النبيل وترسيخ للمرجعية الدينية الوطنية للمنطقة، اقترح الشيخ المأمون أن يتوافق الجميع ويتعاهدوا على ميثاق الإخوة المالكية والإباضية، ويحترمه الجميع، ويستند إلى قواعد شرعية ومعايير أخلاقية، كما ينبثق منه مجلس استشاري مشترك يضم ممثلين عن الفئتين من أهل الرأي والشورى.

وفي سنة 2015 أرسل الشيخ المأمون القاسمي دعوته لميثاق الأخوة المالكية الإباضية إلى القائمين على الهيئات الدينية، والعلمية بولاية غرداية، ومما جاء فيه: "يسعدني أن أعلمكم أنرحاب الزاوية القاسمية مفتوحة لاحتضان اللقاء تروني خدمة لهذا المسعى، وهي على استعداد لاستضافة اللجنة التي تفوضونها لصياغة المشروع المقترح لخدمة المرجعية ..."[3]

إنّ الصلح بين الإباضية والمالكية هدفها الحفاظ على المرجعية الوطنية، والتعايش بين المذاهب الانسجام الوطني بين أبناء الوطن الواحد.

3) الدعوة إلى مرجعية الفتوى:

إنّ المرجعية الدّينية في الجزائر قائمة على شقين أحدهما علمي والآخر مؤسساتي، يكملان بعضها البعض، ولا يمكن الحفاظ عليها إلا بتفعيلهما معا، ولتنجح هذه المؤسسات في القيام بدورها في تثبيت المرجعية، يرى الشيخ المأمون القاسمي: "وجوب توحيد الفتوى وضبطها قصد سد الأبواب أمام مروجي الفتاوى الشاذة، التي تفضي في غالب الأحوال إلى الإخلال بها وبوحدتها وتمزيق صفوفها، على غرار ما يحدث الآن في مجمل البلاد

1 ـ فؤاد القاسمي، فهرست مخطوطات زاوية الهامل، دار الخليل، 2004.

2 ـ قراءة في خطابات الشيخ المأمون القاسمي وخطبه في صلاة الجمعة بزاوية الهامل القاسمية.

3 ـ محمد المأمون القاسمي، نص الميثاق بين المالكية والإباضية، 2013، ص:1. (ملحق رقم:1)

العربية، ووقوع الشباب في حيرة من أمره وأمر دينه "[1]،كما أكد على ضرورة ضبط مرجعية عليااللفتوىفيالبلاد،واعتمادأسلوبالاجتهادالجماعي؛خاصةفيالأزمات،والظروفالطارئةحيثاختلفتالآراءوتعددتالملاحظات،بشأنالفتاوى؛التيظهرتالحاجةإلىاستصدارهافيالآونةالأخيرة،خاصةعندماحلتجائحةكورونا ببلادنا، وانتشرتبالعالمنحولنا،فقدظهرمنيخالفهذهالفتاوىفيماانتهتإليه،معالعلمأنهاموصلة،وصدرتعننخبةالفقهاء الثقة،

المشهودلهمبالعلموالورع،وانصبتجلالانتقاداتعلىالإطارالذياختارتهوزارةالشؤونالدينيةوالأوقافلإصدارالفتوىألاوهو اللجنةالوزاريةللفتوى،فهيفينظرالناستكتسيطابعارسميا، والأحرىأنتتحلىالفتوىبالاستقلاليةوتكتسي طابع العلم الشرعي، فأكد الشيخ المأمون القاسمي على ضرورة إسراع الدولة في تنصيب هيئة للفتوى التي مضى على مشروعها عشرين عاما وما زال حبيس الأدراج، كما أكد على تفعيل مهام المجلس الإسلامي الأعلى، وأنه الصيغة المثلى والإطار الملائم لمرجعية الفتوى، فعلينا أن نقنن ذلك في الدستور الجديد يضمن له كامل الصلاحيات، ينص على اعتماد صيغة الاجتهاد الجماعي، ويقنن الفتوى للمذهب المالكي في الدولة الجزائرية، ويعتبره المرجعية العليا للبلاد، ويحدد صلاحياته بوضوح ويفصلها بدقة بالرجوع إلى ما ورد في نص مشروع دار الإفتاء للحفاظ على المرجعية الجزائرية في الفتوى.

يسعى الشيخ المأمون القاسمي من خلال مواقفه وقراراته ورؤيته الاستشرافية إلى تثبيت دعائم المرجعية الدينية في الجزائر، سواء في مؤسسات الدولة، أو مرجعية الأفراد، من خلال منظومة دينية محكمة لا تقبل الزيغ ولا التبديل، تتبناها الدولة بقانون وفق قانون دستوري، وتلزم بها مؤسساتها وأفرادها.

4) محاربة التطرف والتعصب الديني والطائفي:

لقدسعتزاويةالهاملالقاسميةبفضل الشيخمحمدالمأمونالقاسميإلىرأبالصدعالذيحلبالجزائر وكاديؤديإلى الانقساممالعرقيوالطائفيوغيرهامنالنعراتالتيهزتالمجتمعالجزائريفيالعشريةالسوداءالتيكانتتهدفإلىتمزقالأمةوتشرد هاوالتفرقةبينأبنائها.

إنأكثرالمناطقالجزائريةالتيعانتالإرهابوويلاتهيمنطقةالقبائلوذلكلطبيعةالتضاريسوخصوصيةالشعب،ومنطق ةالأوراس،فماكانمنالشيخالمأمونإلاّأنْكتبكتابا[2]إلىالقائمينعلىالمناراتالقرآنيةمنمساجد،وزوايا،وإلىإخوانالطريقةالر حمانية،ليكونوثيقةمرجعيةفيالدعوةإلىالتعاونعلىرأبالصدعوجمعالكلمة،والعملللنشرالسلاموالوئامبينأفرادالمجت معوالمحافظةعلىوحدتهوتماسكهعملابسنةالأنبياء،ومماجاءفيكتابه:

"نتوجهإليكمبكتابناهذا،فيمرحلةتاريخيةيتطلعفيهاشعبنا المسلمإلىغدمشرقوفجرقريب،يؤذنبانفراجأزمتنا،والتئا مشملنا.

إنالتغييرالمنشودتبدأخطواتهالأولىبتصحيحالانحرافات،والتصالحمعالذات،والعملللبناءالمستقبلعلىأسسمتينة وقواعدصحيحة،ترتكزعلىالقيمالروحيةوالوطنية،التيكانالتحامهاسرتماسكشعبنا عبرالأجيال،ولاسيمافيأوقاتالمح نوالشدائدفيعهدالاحتلال،مؤكداعلىأنّالتّفرقةوبالجسيم،والأمّةالتييقعبأسهابينها،وتغشىالخصوماتوالصّراعات

1 ـ محمد المأمون القاسمي، ملاحظات الشيخ المأمون القاسمي بشأن المشروع التمهيدي لتعديل الدستور 2019، ص:6.

2 ـ ينظر الملحق رقم 2.

فيكيانها، هيأمةتنتحرقبلأنينالمنهاغيرهاوالاختلافالذييولّدالضّغائن،وينشرفيأبناءالأمةالواحدةصبالانتقام.

كماأشادفيكتابهلكيفيةالخروجمنهذاالمأزقالذيحالبينأمنواستقرارالوطن،منخلالتقديمالمصلحةالعامةعلىالمص لحةالخاصة،وضربمثالالتضحيةمنأجلالوطن،مذكرابسنةالحبيبحيثأقاممجتمعامسلماومتآخياومتراحما،مجتمعا يقولعنهالمسلمأنامعغيريأشاركهالحياةنعماءهاوبأساءهاسعادتهاوشقاوتها.

لقددعاإلىالقيمالإسلاميةالتيتوطنالوحدةوالأخوة،والتسامحوالحوار،ونبذالعنصريةوالتفرقةمشيداأنأكثرالأو لوياتإلحاحاهيالمحافظةعلىوحدتناالدينية،والمنهجيةالتيأنعماللهبهاعلينا،وحمايةمجتمعناأضرارالتشرذمالمذهبي والتفرقالطائفي،وضرورةالتصديللتياراتالمصدرةلفكرالتطرفوالغلو والتكفير،ودرءالخطرالذيتشكلهظاهرةالتشددوتجاوزالاعتدال،ولايكونذلكإلابالتمسكبمرجعيتناالدينية،وخصوص يةالمذهبيةفيالعقيدةوالفقهوالسلوك،فهيالحصانةلناأمنالغلووالتطرففيالدين،وهيتشكلمرجعيةموحدة،وصماماً مانعبرالعصوروالأجيال.

إنهذاماأريدهللزّواياوالمناراتالعلميةأنترسمفيترسيخهوإنجازهفيإسهاموتعاونوتعاملمعكلالقطاعاتالمعنية،فرسا لتناجامعةلامفرقة،تقربولاتباعد،تنشرقيمالتعاونوالتضامن،وتشيعروحالأخوةوالتسامح،وتدعواإلىنبذالعنفوالتف رقةوالإرهابوالتعصب،فرسالتناراسخةودعوةمستمرةتنتهجفيهاكلالسبلالمتاحةوالممكنة،لتجعلمنمؤسسة الزواياًمصابيحمضيئةوهاديةللسّعادةفيالدارين[1].

خاتمة:

إن مؤسسة زاوية الهامل القاسمية، وفي ظلال تحولات الحاصلة كان لزاما عليه اتباع استراتيجية جديدة من أجل مواكبة التحديات، وتهدف إلى رسم والمساهمة في تثبيت معالم المجتمع الجزائري، وفق مرجعية دينية ثابتة، ومقوماته، والتّمسك بها خاصة المرجعية المذهبية العقدية، الفقهية، والسلوك، فهي الحصانة له من الغلو والتطرف الديني، والدعوة للمرجعية الموحدة، وصمام أمان عبر العصور والأجبال.

فرسالتها جامعة لا مفرقة، تقرب لا تباعد، تنشر قيم التسامح وتشيع روح الأخوة، وتدعو إلى نبذ العنف والتفرقة، والإرهاب، والتعصب .. فرسالتها راسخة ودعوة مستمرة، تنتهج فيها كل السبل والطرق المتاحة من أجل الحفاظ على المرجعية الدينية والهوية الوطنية للجزائر بفضل سياسة مشيختها الرشيدة؛ الشيخ محمد المأمون القاسمي ـ حفظه الله ورعاه ـ

1 . أنظر الملحق رقم 2.

الملاحق

ملحق رقم (1) ميثاق الإخوة المالكية الإباضية للشيخ محمد المأمون القاسمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية
الرئيس

مشيخة الزاوية القاسمية
العامل

حضرات السّادة الأفاضل القائمين على
الهيئات الدينية والعلمية و المؤسّسات الاجتماعية والخيرية
في ولاية غرداية.

الموضوع: الدعــوة إلى ميثاق الأخـوّة المالكية الإباضية.

الوثائق المصاحبة:مقتطفات من كلمات متصلة بالموضوع.

السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد؛

فيسعدني أن أتوجّه إليكم بكتابي هذا، راجيا من الله تعالى أن يجد عندكم حسن العناية، ويحظى لديكم بالقبول؛ طالبا منكم التفضّل بموافاتنا برأيكم في الدعوة المتجدّدة إلى «**ميثاق للأخوّة المالكية الإباضية**» يُتوّج الجهود المخلصة التي بُذلت في سبيل إعادة الألفة والوئام إلى أبناء هذه المنطقة العزيزة من وطننا الحبيب، وتحقيق الوحدة والأمن والاستقرار، في مختلف ربوعها؛ ليعيش سكانها كما كانوا في الماضي، في وئام وانسجام، تجمعهم رابطة الإسلام، وتؤلّف بينهم بعد فرقة وخصام.

إنّ الهدف المتوخّى من مشروع الميثاق الذي كنتُ ذعوتُ إليه، منذ الأحداث الأولى التي شهدتها مدينة القرارة، أن يكون معيارًا أخلاقيا، وميزانًا ثابتا لتحصين النسيج الاجتماعي المتنوّع في هذه المنطقة، وتوثيق أواصره، وحمايته من عوامل التصدّع أو الانحراف. كما يكون الإطار الملائم الذي يحدّد العلاقات القائمة بين الجماعتين المالكية والإباضية؛ ويوضّح في بنوده جميع الجوانب التي تتعزّز بها مقوّمات الأخوّة والتعاون بينهم؛ فضلا عن المبادئ والقواعد التي تضبط علاقات التعايش وحسن الجوار، بين سكان المنطقة؛ بعيدا عن العوامل المفضية إلى التعصّب المقيت.

أما المجلس الاستشاريّ الذي اقترحته، فإنّ المراد منه أن يكون إطارا دائما للحوار والتشاور، يحدّد الميثاقُ مهامّه وصلاحياته؛ ويجعل في طليعتها تعزيز صِلات الأخوّة والتعاون بين السكان، وإيجاد الحلول المناسبة للمشكلات الطارئة، بالتنسيق مع السلطات المحلّية، ومختلف المؤسّسات المعنية.ومن شأنه أن يكون الأداة المثلى التي تتجسّد بها أهداف الميثاق المنشود.

وتجدر الإشارة إلى أنّ «مجلس الأخوّة المالكية الإباضية»، كما أتصوّره، لن يكون بديلا للهيئات الدينية والاجتماعية القائمة في المنطقة، بخصوصية رسالتها، ومهامها المتميّزة، ووظائفها المتعدّدة؛ بل إننا نرى فيه وسيلة دعم وإسناد لهذه الهيئات؛ يسهر باستمرار على حسن التنسيق؛ ويسعى لتحقيق التكامل بين المؤسسات المعنية.

وفي تقديرنا، ينبغي أن يتشكّل هذا المجلس من أعضاء لهم مصداقية التمثيل، ويتمتّعون بالسُّمعة الطيّبة، ويحظون بالمكانة العلمية والاجتماعية.

1

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner

أيها الإخوة الأحبّة؛

يسعدني أن أعلمكم أنّ رحاب الزاوية القاسمية مفتوحة لاحتضان أيّ لقاء تروونه يخدم هذا المسعى.

أيها الإخوة الأحبّة؛

إنّ مسعانا نبتغي به وجه الله؛ ونرتجي أن يكون لنا معكم حظ وافر من فضل الله، الذي يؤتيه من يصل بين المؤمنين، ويصلح ذات البين. وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء114. كما أخبر الصادق المصدوق أنّ الله سبحانه أعدّ ثوابا جزيلا، يزيد على ثواب الصلاة والصدقة والصيام، للمبادلين جهدهم في رأب الصدع، وجمع الشتات. وإصلاح فساد القلوب، وإزالة الضغائن من النفوس، وإطفاء نار العداوة والشقاق، وإحكام روابط الألفة والأخوّة بين المسلمين. عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:« **ألا أُخبركُمْ بأفضلَ من درجةِ الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى. قال: إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ. فإنّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالقةُ. لا أقولُ تَحلقُ الشَّعرَ، ولكن تَحلقُ الدِّينَ**». رواه أحمد وأبو داوود وصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم. إنها الخصلة الذميمة الماحية لكل ثواب. القاطعة لكلّ صلة، الذاهبة بخيري الدنيا والآخرة. إنها حالقة الدّين، لأنّها تحلق الإيمان والأخوّة والفضيلة، وتزيل كلّ خير وهداية، وتجعل المتنافرين بعيدين عن آداب الإسلام وقيمه، جاحدين فضله، منكرين تعاليمه.

مدخل رقم (2) دعوة الشيخة الرحمانية لنبذ العنف والكراهية

إنّ الأمل جزء من عقيدة المسلم، لأنه ثمرة حسن الظنّ بالله، والثقة بوعده، واليقين بما عنده. وهذا شأن الدعاة إلى الحقّ، يحدوهم دائما الأمل، ويعمر جوانحهم الرجاء، ولا يعرف ظلام اليأس إلى صدورهم سبيلا. ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ ﴾ الحجر56. فكلّما ادلهمّ الظلام من حول المؤمنين، ازداد إيمانهم بحاجة الناس إلى النّور.

ونحن أملنا في الله وطيد؛ أن يحقّق مسعانا الذي نرجوه، ويُقرّ أعيننا بما ندعوه. إنّنا نبتغي رضوانه، ونسأله عفوه وغفرانه؛ وندعوه سبحانه أن يجعل يومنا خيرا من أمسنا، وغدنا خيرا من يومنا، وأن يجمع قلوبنا على التُّقى، ونفوسنا على الهدى، وعزائمنا على الرشد وعلى حبّ الخير وخير العمل، ويرزقنا الصدق والإخلاص في القول والعمل.إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

هذا؛ وفي انتظار ردّكم المأمول، تفضّلوا بقبول أطيب التحيات، مشفوعة بصالح الدعوات. والله نسأل أن يمنّ عليكم بدوام التوفيق والسّداد، ويسلك بنا جميعا سبيل الهداية والرشاد.

والله وليّ الإعانة والتوفيق.

03 صفر 1437هـ
15 نوفمبر 2015م

خادم العلم الشريف في المقام القاسمي
محمد المامون مصطفى القاسمي الحسني

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية
الرئيس

مشيخة الزاوية القاسمية
الحامل

© الحفاظ على السلم الاجتماعي

مقتطفات من كتاب وجهه السيد محمد المأمون القاسمي الحسني،
شيخ زاوية الهامل القاسمية، رئيس الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية،
بتاريخ الفاتح من جمادى الأولى 1420هـ الموافق ل 12 أوت 1999م،
إلى القائمين على المنارات القرآنية، وإخوان الطريقة الرحمانية،

وقد ورد في كتاب الشيخ أنه أرسله إليهم، ليكون بين أيديهم وثيقة مرجعية، في الدعوة إلى التعاون على رأب الصدع، وجمع الكلمة، والعمل لنشر السّلام والوئام بين أفراد المجتمع، والمحافظة على وحدته وتماسكه، عملا بسنة الأنبياء والمرسلين، واقتداء بطريقة العلماء الربانيين الذين أمرهم الله بنشر السّلام وبثّ الإصلاح والتوفيق بين الناس، حتى لا تتعارض مصالحهم، وتتضارب أهواؤهم، وحتى يبقى مجتمعهم قوي الأركان، متماسك البنيان.

تناول الشيخ مضامين رسالته هذه، في كثير من محاضراته ولقاءاته؛ ولاسيما خلال الأحداث التي عرفتها منطقة القبائل، ثم الأحداث التي شهدتها ولاية غرداية، في العامين الماضيين.ومما جاء في رسالته:

«...نتوجه إليكم بكتابنا هذا، في مرحلة تاريخية يتطلّع فيها شعبنا المسلم إلى غد مشرق، وفجر قريب، يؤذن بانفراج أزمتنا، والتئام شملنا، واستعادة أمننا وأمنا، بعد أن انحرف مجتمعنا عن طريق الرشاد، وجره كثير من أبنائه الرؤية الصحيحة، في خضمّ فراغ روحي وفكري رهيب، وجهل حقيقة الدين.فتفرقت بنا السبل، واشتدّت بنا البلايا والمحن، وكادت أن تعصف بنا الفتن، لولا أن تداركنا الله بلطفه، وشملنا بكرمه عنايته وحفظه.

إنّ من بداهة القول التذكير بأنه لا صلاح لأمرنا إلاّ بتغيير ما بأنفسنا؛ وتلك سنة الله. فمن دينه نستمدّ الأحكام وبدعوته نستضيء الأحوال. والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد11

والتغيير المنشود تبدأ خطواته الأولى بتصحيح الانحرافات، والتصالح مع الذات؛ والعمل لبناء المستقبل على أسس متينة، وقواعد صحيحة، ترتكز على القيم الروحية والوطنية، التي كان التحامها سرّ تماسك شعبنا، عبر الأجيال؛ ولاسيما في أوقات المحن والشدائد في عهد الاحتلال...».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«..لقد قامت دعوة الإسلام على أساسين متينين، وركنين قويّين، هما: الأخوّة والسلام. وكلّ دعوة إلى الإصلاح وتحقيق الأخوّة والوئام، هي من صميم دعوة الإسلام. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ المائدة2. لقد بيّنت هذه الآية الكريمة مبدأ هامّا من مبادئ الإسلام، هو التعاون في أمور الخير والحقّ والصلاح، وعدم التعاون في أمور الشرّ والبغي والفساد.

إنّ من يصل بين المؤمنين، ويصلح ذات البين، يعدّ عمله أفضل من كثير من القربات. فقد أخبر الصادق المصدوق أنّ الله سبحانه أعدّ ثوابا جزيلا، يزيد على ثواب الصلاة والصدقة والصيام، للباذلين جهدهم في رأب الصدع، وجمع الشتات، وإصلاح فساد القلوب. وإزالة الضغائن من النفوس، وإطفاء نار العداوة والفتن، وإحكام روابط الألفة والأخوّة بين المسلمين. عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصدقة والصيام؟ قالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين. فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة. لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**». وصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم. إنها الخصلة الذميمة الماحية لكلّ ثواب. القاطعة لكلّ صلة، الذاهبة بخيري الدنيا والآخرة. إنها حالقة الدين، لأنّها تحلق الإيمان والأخوّة والفضيلة، وتزيل كلّ خير وهداية، وتجعل المتنافرين بعيدين عن آداب الإسلام وقيمه، جاحدين فضله، منكرين تعاليمه.

«..إنّ الفرقة وبال جسيم، والأمّة التي يقع بأسها بينها، وتفشو الخصومات والنزاعات في كيانها، هي أمّة تنتحر، قبل أن ينال منها غيرها. والاختلاف الذي يولّد الضغائن، وينشر في أبناء الأمة الواحدة حبّ الانتقام صفة من صفات الأمم التي أخذها الله أخذ عزيز مقتدر..».

«..إنّ أعداء المسلمين يشغلونهم بتأجيج فتنهم الداخلية وتعقيد أزماتهم المتلاحقة. وهاهم اليوم بصدد إشعال نار الفتنة لتكون حربا بين السنة والشيعة. إنهم يسعون دون هوادة لتنفيذ مخطّطهم لإعادة تقسيم البلاد العربية والإسلامية، من أجل إحكام الهيمنة على شعوبها، والتحكّم في مقدّراتها، ونهب ثرواتها وخيراتها..»

«..وإذا كانت إشاعة السّلام مدعاة للتحابب والتوافق، فلا شيء يحلّ الكراهية محلّ المحبّة، والشقاق محلّ الوفاق، كأمراض القلب واللّسان، وإيقاد الفتن التي تقضي على المحبّة والوئام، بل هي معاول تهدم المجتمع من الأساس. والذي يعمل لإثارة الفتن، ويسعى لتنميتها وإشاعتها، إنما هو عدوّ لنفسه، وللدين وللمجتمع وللإنسانية. وقد قال، صلى الله عليه وسلم: «**شرّ الناس من داراه الناس لشرّه. ولا خير فيمن لايألف ولا يؤلف**..».

«..إنّ تمزّق الأمّة يميت الشعور العامّ فيها، ويمنع تيار الإحساس الواحد أن يأخذ دورته في شتى أجزائها، هذا، إذا بعُد عن الجسد بعض أعضائه، فكيف إذا تربّص بعض الأعضاء بالبعض الآخر، وأراد به السوء، وتمنى له المهالك؟! ونبيّنا الكريم، صلى الله عليه وسلم: يقول:« **مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**». هذا شأن المؤمنين حقا. تجدهم متساندين متراحمين متكاملين، توحّدهم الطاعات، ويجمعهم التعاون على البرّ؛ لا يتعاملون إلاّ بالنصح الأمين والمشورة المخلصة، كلّ منهم يقوّي الآخر ويعضده ويشدّ أزره..».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إنّ هذه القيم هي التي جعلت شعبنا يلوذ بالإسلام، ويعتصم بحبله، ويبقى على الدوام محصّنا بركنه، متماسكا بقوته. وفي ضوء هذه القيم السامية كانت مبادئ المقاومة و الجهاد؛ ومن قبس هذه الأنوار يستلهم شعبنا عهد الشهداء؛ ليبقى أمانة يحملها الخلف عن السّلف، على تعاقب الأجيال، إن شاء الله..».

قائمة المصادروالمراجع

1) ابن منظور، لسان العرب، حرف الزاي، دار الجيل، ط1988، ج:14.

2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط:1، بيروت، لبنان، 1998، ج:3.

3) أبو ريان محمد، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، 2000، دار المعرفة الجامعية، مصر.

4) أحمد بن أحمد، الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسات الشعبية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية جامعة تلمسان، العدد:2، 2003م.

5) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1977.

6) التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي في البلاد التونسية، منشورات كلية الآداب جامعة تونس 1، ط:1، 1992م.

7) الحاج مزاري، الهامل مركز اشعاع وقلعة العلم والجهاد، دار الحكمة، الجزائر، ط:1، 1993.

8) دريس بن مصطفى، المرجعية الدينية في الجزائر الأسس والمرتكزات، مجلة متون، مج:14، ع:1 2021/02/26.

9) عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط:1980، ج:3.

10) عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل، ط:2005.

11) عبد الواحد بن عاشر، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، دار الهدى، عين مليلة الجزائر.

12) فؤاد القاسمي، فهرس مخطوطات الزاوية القاسمية، دار الخليل، ط:1، 2014.

13) محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المكتبة العتيقة، مؤسسة الرسالة، 1985م، ج:2.

14) محمد الصغير ، تعطير الأكوان، د.ط،. دار الخليل.

15) محمد القاسمي، رسالة حول التعليم، مخطوط خاص.

16) محمد المأمون القاسمي، التعليم في زاوية الهامل القاسمية، ملتقى أعلام المسيلة، 2017م.

17) محمد المأمون القاسمي، ملاحظات الشيخ المأمون القاسمي بشأن المشروع التمهيدي لتعديل الدستور 2019.

18) محمد المأمون القاسمي، نص الميثاق بين المالكية والإباضية، 2013.

19) محمد بن محمد القاسمي، الزهر الباسم في ترجمة الامام محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية التونسية، ط:1.

20) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، ط:1، 1965، الجزائر ج:1.

21) محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر، د.ط.

22) يحي بوعزيز، دور الطرق الصوفية في الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، ملتقى الفكر الإسلامي، تيارت، 1984.